تثبت الصحابة رضى الله عنهم فى رواية الحديث النبوى ومظاهره

The Authenticity of Companions in Narration of Hadith and its manifestations

*۔سعاد محمد عباس

ABSTRACT

The Companions of the Holy Prophet Hazrat Muhammad Peace Be upon Him learned Hadith from Him and narrated it to the next generations with honesty and trustworthiness. Their integrity and sincerity for Islam was even witnessed by Al-Quran. There was diversity of skills among the companions of the Holy Prophet Hazrat Muhammad Peace Be Upon Him. Some of them were completely devoted for Hadith collection. Inspite of full devotion for collection of Hadith they were extremely careful in collection and reporting of Hadith. This reason that some of them have narrated only few Hadith. This tradition of carefulness in narration of Hadith was funded in life time of Holly Prophet and established during the period of rightly guided Caliphs. This article is aimed to clarify that carefulness in collection of Hadith was established in early period of Islam and it is not later phenomenon. This has been elaborated and justified in this article with some examples.

Key Words: Honesty, Trustworthiness, Sincerity, Hadith Collection, Careful

*۔المحاضرة بقسم الدراسات الإسلامية كلية العلوم الاجتماعية الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، بعثه للعالمين رحمة وهاديا ومبشرا ونذيرا، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته الكرام، وأصحابه العظام، وعلى من أحبهم إلى يوم الفرقان.

أما بعد، فإن الانشغال بالكتاب والسنة والخوض فيهما من أفضل الأعمال، وذلكم لمكانتهما في الإسلام، ولكونهما مصدران أساسيان في التشريع الإسلامي، فإذا تقرّر ذلك، فكان كلما يتعلق بهما من العلوم يستمدّ شرفهما ومنزلتهما، وعلى هذا الأساس لا يتنازع اثنان من المسلمين في عدالة الصحابة رضي الله عنه أجمعين وصدق نياتهم، وأنهم كانوا يتورعون في أمورهم العادية فضلا عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم من أبعد الناس عن هذه الجريمة وزيادة على ذلك فإنهم هم الرواة هذا الحديث الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وكانوا رضي الله عنهم من شدة تحرّيهم عما ينقل ويسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم يَمنعون مِن إكثار الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يقعوا في الكذب، وهذا ما حدث للصحابة رضي الله عنهم الذين قلّلوا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك هذا الخوف أي الكذب على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من افتراء الكذّابين، لأنّ الوحي مازال ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن يصدر من هذه الجريمة الشنيعة يكشف أمره ويفضح سره، فالسنة المطهرة في مأمن من كيد الكائدين وغش الغاشين، وصدق الله تعالى حيث قال: (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ)[2]، وقد كان إذا حَدَث بينهم خلاف أو نزاع بينهم، ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)[3].

وهذا المثال خير دليل على ما سبق، روى المسور بن المخرمة وعبدالرحمن بن عبدالقاري أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ بسورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلّم، فلببته بردائه، فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرسله)، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت)، ثم قال: (اقرأ يا عمر)، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت)، (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه)"[4].

وغيره من الوقائع التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي فيها على الخلاف ويصحح فيها من قصر عن الفهم الصحيح، ولكن لما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلى جوار ربه تبارك وتعالى، لم يكن هناك من يحفظ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة ويحرسهما بفضل الله إلا صدور الصحابة رضي الله عنهم، فقد انقطع الوحي وانتشر بعض النفاق، وارتد من العرب، ومنع بعضهم الزكاة، فكان يخشى من هؤلاء أن يعبثوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبا بكر رضي الله عنه وقف موقف الحذر، فكما قضى على المرتدين ومانعي الزكاة، كذلك سد الباب في وجوه الكذابين في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وضعه من شروط الرواية، منها التثبت في الرواية بأن يؤكده من يشهد معه في رواية ذلك، كما روى الحافظ الذهبي في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الحديث، فروي عن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدّة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه تلتمس أن تورث، فقال رضي الله عنه: "ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً"، ثم سأل الناس فقام المغيرة رضي الله عنه فقال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس"، فقال له: "هل معك أحد؟" فشهد محمد بن مسلمة رضي الله عنه بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه"[5]، ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده سائراً على نهجه، فأرهب الكذابين وخوّف المحرفين، وسار من أتى خلفهما فكانوا خير خلَف لخير سلَف، ثم أتى العلماء المحدّثون الذين أكملوا وأحسنوا ولم يتركوا أي مجال للمشككين في السنة المطهرة، ومن هذا المنطلق أحببت أن أجمع بعض المواد في هذا المضمار، فقسمتُ البحث إلى أمرين: أولا: حرص الصحابة في رواية الحديث واهتمامهم به، وثانيا: نماذج من مظاهر تثبّت الصحابة في رواية الحديث.

1. حرص الصحابة رضي الله عنهم على رواية الحديث واهتمامهم بها

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من أشدّ الناس الذين حرصوا على السنة أخذا ورواية، وشدة حرصهم واهتمامهم تتجلى من الآتي:

أولا: رواية النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة رضي الله عنهم:

إن معظم الروايات الحديثية هي التي يرويها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك هو الأصل، ولكن قد حدث العكس أي أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عن الصحابي، وذلك ثقة منه صلى الله عليه وسلم على أمانتهم وصدقهم، واعترافا منه صلى الله عليه وسلم على اهتمامهم البالغ في هذا الشأن، والحديث المشهور في هذا الباب هو حديث الجساسة، فقد روى الإمام مسلم بسنده عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال: حدثيني حديثا سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسنديه إلى أحد غيره، فقالت: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني، فقالت: "نكحتُ ابنَ المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أحبني فليحب أسامة، فلما كلمني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: أمري بيدك، فأنكحني من شئت، فقال: انتقلي إلى أم شريك، وأم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان، فقلت: سأفعل، فقال: لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم، وهو رجل من بني فهر فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه، فانتقلت إليه، فلما انقضت عدتي، سمعت نداء المنادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي، الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر، وهو يضحك، فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلا، فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى

عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك، ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني، ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهرا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعا، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا: له نعم، قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر، قال أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب)...اه"[6].

فهذا الحديث الذي يسمى حديث الجساسة، يروي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابي تميم الداري رضي الله عنه، وما ذلك إلا اعترافا على صدقهم وأمانتهم فيما يروونه.

ثانيا: رواية الصحابي عن التابعي:

ومن شدة اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالحديث أنهم رووا عمن دونهم أي التابعين رحمهم الله، وهذا إن دل على شيء، فقد دل على حرصهم البالغ واهتمامهم الشديد في الرواية والتحديث، يقول الإمام السيوطي رحمه الله: "النوع الثامن والسبعون، ما رواه الصحابة عن التابعين عن الصحابة، هذا النوع زدتُه أنا، وقد ألّف فيه الخطيب، وقد أنكر بعضهم وجود ذلك، وقال: إن رواية الصحابة عن التابعين إنما هي في الإسرائيليات والموقوفات، وليس كذلك"، ثم سرد الأمثلة على ذلك[7].

ثالثا: تقسيم الصحابة إلى المكثرين و المقلّين في الرواية:

قبل الخوض في تقسيم الصحابة رضي الله عنه إلى المكثرين والمقلين يُحبّذ أن يُبحث عن أسباب إقلال الصحابة للأحاديث النبوية.

كما سبق ذكره أن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه جعل شروطا في رواية الحديث الشريف، واقتفى أثره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم وذلك شدة تحريهم في نقله خشية أن يتخذ المنافقون والذين في قلوبهم مرض من انتشار الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذريعة ليزيدوا فيه كذباً وزوراً، ولئلا تزلّ بالمكثرين من رواية الحديث أقدامُهم بعد ثبوتها، فيسقط في حفوة الخطأ والنسيان، فيكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعرون، كما كرهوا أن يشتغل برواية الحديث وينصرفوا عن حفظ القرآن الكريم، فإنه لم يتيسر حفظه لكثير منهم وقت نزوله، فما أحوج المسلمين إلى ذلك وقد تمّ نزوله إلى حفظه وتناقله، والتثبت منه والوقوف على دراسته، لذلك نجد أن

الصحابة رضي الله عنهم لم يرووا من الحديث إلا بقدر ما يعرض لهم من القضاء والفتوى، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه على كثرة سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلل من رواية الحديث ويتشدد في شروط الراوي، وكذلك عمران بن حصين رضي الله عنه، وهذا أبو عبيدة رضي الله عنه وهلم جرا، فكلهم كانوا يقلون من رواية الحديث حتى أن سعد بن زيد رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لم يرو له إلا حديثان أو ثلاثة، وهذا أبي بن عمارة رضي الله عنه لم يرو له إلا حديث واحد في المسح على الخفين، وهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان وعاء من أوعية الحديث ولكن يمسك عن التحديث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أنه معدود في المكثرين من الصحابة لرواية الحديث، لكنه اتباعاً لسنة الشيخين في التقليل من الرواية يكف عنها، ثم لما طالت به الأيام وكثرت الحوادث واحتيج إلى ما عنده من العلم حدث به، وأظهره للناس كما روى البخاري ومسلم عنه رضي الله عنه أنه قال: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولو لا آيتان في كتاب الله ما حدثتُ حديثاً، ثم يتلو قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ[8])، حتى يبلغ قوله تعالى (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ[9])، إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"[10]، وإنما اشتد إنكارهم على أبي هريرة رضي الله عنه لأنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة سنين، وأتى من الرواية عنه بما لم يأت به أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وبعد أن أخبرهم بأنه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لم تشغله عن مجالسته تجارة ولابيع ولا زرع ولا ضرع، فحفظ ما لم يحفظوا سكتوا عنه، ومع ذلك فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يمسك عن التحديث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان شديداً على رواية الحديث حذراً من خطر الإكثار، فقد قيل لأبي هريرة رضي الله عنه: "أكنت تحدث في زمن عمر رضي الله عنه هكذا؟ قال: لو كنتُ أحدث في زمن عمر رضي الله عنه مثلما أحدثكم لضربني بمخفقته"[11].

وقد كان واضحاً من أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه يأمر الناس بتقليل الرواية، وكان مهيبا عند جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، روى الشعبي عن قرظة بن كعب أنه قال: "بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة، وشيعنا فمشى معنا إلى موضع يقال له (صرار)، فقال: "أتدرون لم مشيت معكم؟" قال: "قلنا لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولحق الأنصار"، قال: "لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، وأردت أن تحفظوه لممشاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن

في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم"[12].

وروى البخاري عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال لأبيه: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله رضي الله عنه كما يحدث فلان وفلان، فقال له: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) [13].

وذكر ابن ماجه أن زيد بن أرقم كان يقال له: حدِّثنا، فيقول: "كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد"[14].

فخلاصة القول في موقف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الرواية أنهم على قسمين:

قسم المقلين لها كأبي بكر وعمر (وأبي هريرة في زمن عمر) وزيد بن أرقم وعمران بن حصين والزبير رضي الله عنهم أجمعين.

وقسم المكثرين لها: كأبي هريرة الذي كان وعاء من أوعية الحديث التي فاضت على المسلمين، فملأت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه صدورهم ومجالسهم، وعبد الله بن عمرو كان يحدث الناس من صحيفته (الصادقة)، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم كان يطلب الحديث عند كبار الصحابة، ويتحمّل في سبيل ذلك عناء ومشقة، وهكذا لقي في سبيل الحديث من العناء والمشقة ما لقي إلى أن استوعب حديث من لقيهم من الصحابة، فلزم بيته غير متزمت ولا مقل ويظهر أنه أقل من التحديث بعد ذلك حين ظهر الوضع في الحديث.

وروى مسلم في مقدمة صحيحه أن بشير بن كعب جاء إلى ابن عباس فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: عد لحديث كذا وكذا، فعاد له، فقال : لا أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال ابن عباس: "إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه"[15].

رابعا: الاهتمام بالمذاكرة:

وكان من شدة اهتمام الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يهتمون بمذاكرة الحديث واستظهاره، ويقصد بالمذاكرة: "مطارحات علمية ومساجلات حديثية، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخفي التعليلات، يسأل بعضهم بعضا عن ذلك، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه"[16].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "تذاكروا هذا الحديث، وتزاوروا، فإنكم إن لا تفعلوا يدرس"[17].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "تدارس العلم ساعة من الليل خير من إحيائها"[18]، وقال أيضا: "ردوا الحديث واستذكروه، فإنه إن لم تذكروه ذهب، ولا يقولن رجل لحديث قد حدثه: قد حدثته مرة، فإنه من كان سمعه يزداد به علما، ويسمع من لم يسمع"[19].

وللمذاكرة أثر طيب للحفظ والإتقان وتثبيت المعلومات، أشار إلى ذلك الإمام النووي قائلا: "فإن بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر، ويتأكد ويتقرر ويزداد، بحسب كثرة المذاكرة، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أياما".[20]

2. مظاهر تثبت الصحابة في رواية الحديث

وكما أقرّ الصحابة بالإقلال من رواية الحديث وأمسكوا عن الإكثار منه، فقد ساروا على منهاج التثبت في الراوي والمروي مهتدين في ذلك بكتاب الله ومسترشدين بما تواتر أو اشتهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا الحديث بحيطة بالغة وحذر شديد، فإذا اطمأن قلوبهم إلا الحديث بأن كان متواترا أو مشهورا أو آحادا لم يكن في رواية من يشك في حفظه وضبطه قبلوه وعملوا به ولم يطلبوا عليه شهيداً ولا دليلاً، وما وقع فيه شكٌّ وارتياب طلبوا عليه ظهيرا، وما لم تقم البينة على صدقه مما وقع فيه شك أو كان مخالفاً لكتاب الله ردوه على قائله:

أولاً: تثبت الخلفاء الرشدين رضي الله عنهم في الرواية:

(أ) تثبّت أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قبول الحديث:

روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الحديث"[21]، فروي عن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تتلمس أن تورث، فقال: ما أجد لكِ في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله رضي الله عنه ذكر لكِ شيئاً" ثم سأل الناسَ، فقام المغيرة، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس، فقال له: "هل معك أحد؟" فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه، لها أبو بكر رضي الله عنه"[22].

فأخبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف يكون الاهتمام بالرواية والتثبّت فيها، وعلّم الناسَ لابد أن يراعوا فيما يخبرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحيطة والرعاية.

(ب) تثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قبول الحديث:

وعن شقيق قال: كنت جالسا مع عبدالله وأبي موسى، فقال أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن، أرأيت لو أن رجلا أجنب فلم يجد الماء شهراً، كيف يصنع بالصلاة، فقال: لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً، فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة: "فلم تجدوا ماء فتيمموا طيبا"، فقال عبدالله: لو رخص لهم في هذه الآية، لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصعيد، فقال أبو موسى لعبدالله، ألم تسمع قول عمار: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة فأجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال: إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه، فقال عبدالله: أو لم تر عمر لم يقنع بقول عمار"[23].

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الذي سنّ للمحدّثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، روى سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: "سلّم عبدالله بن قيس أبو موسى الأشعري على عمر بن الخطاب ثلاث مرات، فلم يؤذن له فرجع، فأقبل عمر في أثره، فقال لم رجعت، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سلّم أحدكم ثلاثاً، فلم يجب، فليرجع)، فقال عمر: لتأتيني على ما تقول ببيّنة أو لأفعلنّ بك كذا غير أنه قد أوعده، فجاءنا أبو موسى منتقعا لونُه، وأنا في حلقة جالس، فقلنا ما شأنك؟ فقال: سلّمت على عمر، فأخبرنا خبره، فهل سمع أحد منكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا كلّنا قد سمعه، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر رضي الله عنه، فأخبره ذلك"[24].

فالخليفة رضي الله عنه طلب البينة ليس لأن أبا موسى غير مؤتمن عنده، بل لأمر آخر يفصح عنه عمر نفسه، فقد جاء في رواية الإمام مالك لهذه القصة قول عمر رضي الله عنه: "أما إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[25].

وقد علّق عليه ابن حبان قائلا: "قد أخبر عمر بن الخطاب أنه لم يتهم أبا موسى في روايته، وطلب البينة منه على ما أراد تكذيبا له، وإنما كان يشدد فيه لأن يعلم الناس أن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد فلا يجيء من بعدهم من يجتريء فيكذب عليه صلى الله عليه وسلم،"[26].

وروى مسلم عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في إملاص المرأة، فقال المغيرة بن شعبة: شهدتُ النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة (عبد أو أمة)، قال: فقال عمر: ائتني بمن يشهد معك، قال : فشهد له محمد بن مسلمة[27].

عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : "الدية للعاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً"، حتى أخبر الضحاك بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه: (أن ترث امرأة أشيم الضبابي من ديته)، فرجع عمر رضي الله عنه[28].

(ج) تثبت عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ولم يكن لذي النورين أقلّ حظا من الصاحبَين رضي الله عنهم أجمعين في تثبت الرواية الفحص فيها، فعن بسر بن سعيد قال: "أتى عثمان المقاعد، فدعا بوضوء، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه ثلاثا ثلاثا، ثم برأسه، ورجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضأ يا هؤلآء أكذلك؟ قالوا : نعم لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده"[29].

وهذا العمل بمحضر الصحابة ثم السؤال منهم للتأكيد عليه نستفيد منه أنه أراد تأكيد الإضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

د– تثبت علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : "كنتُ إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإن أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له)"[30].

وما روي عنه رضي الله عنه من استحلاف الراوي، فإن هذا لم يكن موقفه دائماً في قبول جميع الأخبار بل قبل بعض الأخبار من غير أن يستحلف الراوي أو أن يشدد عليه مثل ما ذكر في خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي فيه أن العبد المذنب إذا صلى ركعتين واستغفر ربه غفر له، ومن ثم تبين لنا أن الخلفاء الأربعة لم يكن لهم شروط خاصة لقبول الأحاديث أكثر من حصول الثقة بالراوي بأن يكون عدلاً مسلماً ضابطاً لما يرويه، وما روي عنهم لا يعدو التثبّت والتوثّق عند عروض الشك، فقد قبلوا أخبار الآحاد كما قبلها غيرهم من عامة الصحابة وعلمائهم رضي الله عنهم، فقصارى القول في هذا أنهم يريدون التأكيد والتثبت.

هذا كان منهج الصحابة في التثبت لقبول الحديث، وكانوا يفعلون ذلك إما للتثبت عند عروض الشك أو لئلا يتسامح الناس في رواية الحديث، ولا يؤخذ من هذه الأخبار أبداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث أن يرويه راويان فأكثر، أو أن يشهد الناس على الراوي أو أن يستحلف، وأنه إذا لم يحصل شيء من هذا رد خبره، بل المقصود ما ذكر وهو التثبت لإغلاق أبواب الكذب في الحديث، والآثار المستفيضة

التي تشهد بأن عمر رضي الله عنه أخذ بأحاديث لم يروها له إلا راو واحد، وأن علياً رضي الله عنه قَبِل حديث بعض الصحابة دون أن يستحلف وأن أبا بكر رضي الله عنه روي عنه مثل ذلك.

ثانيا: الاستشهاد على الرواية لأجل التثبت:

ومن مظاهر التثبت على الرواية عند الصحابة رضي الله عنهم هو الاستشهاد على الرواية:

فمن أمثلة على ذلك:

عن أبي عبدالرحمن الأوزاعي أنه سمع المطلب بن عبدالله يقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أتوضأ من طعام أجده في الله حلالا، لأن النار مستة، فجمع أبو هريرة رضي الله عنه حصى، فقال: أشهد عدد هذه الحصى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "توضؤوا مما مست النار"[31].

ومن ذلك عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان)، قال: فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قالوا: كذا وكذا، قال: صدق أبو عبدالرحمن فيّ نزلت، كان بين وبين رجل أرض باليمن، فخاصمته إل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (هل لك بينة)؟ فقلت: لا، قال: (فيمينه)، قلت: إذن يحلف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان)، فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[32].

ثالثا: السؤال عن صاحب الشأن في الرواية لزيادة التأكيد:

ومن طرق التثتب عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يرجعون إلى صاحب الشأن في الرواية، أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل، فيسأل النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده، فبينا نحن كذلك إذا أتاه أعرابي فجثا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إن رسولك أتانا، فزعم لنا أنك تزعم لنا أن الله أرسلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي رفع السماء، وبسط الأرض، ونصب الجبال الله أرسلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا صوم شهر في السنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن

علينا في أموالنا الزكاة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق)، قال: فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فإن رسولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا الحج إلى البيت من استطاع إليه سبيلا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، قال: والذي بعثك بالحق لا أدع منهن شيئا ولا أجاوزهن، ثم وثب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن صدق الإعرابي دخل الجنة)"[33].

وعن عبدالله بن بريدة أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى فضالة بن عبيد، وهو بمصر، فقدم عليه، فقال: أما إني لم آتك زائرا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت أن يكون عندك منه علم، قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: وما لي أراك شعثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسو الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإرفاه، قال: فما لي لا أرى عليك حذاء، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نحتفي أحيانا"[34].

وقد سافر أبو أيوب الأنصاري إلى مصر لسماع حديث من عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهما وهو حديث: (من ستر مؤمنا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة)[35].

ومثال آخر على ذلك أن جابر بن عبدالله قد سافر إلى بلاد الشام ليسمع حديثا من عبدالله بن أنيس الأنصاري، وأنه قال له حين وصل إليه: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس غرلا بهما.....الخ)"[36].

رابعا: التأكد من حفظ الراوي:

ومن مظاهر التثبت عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في الرواية أنهم يتأكدون من حفظ الراوي، يدل على ذلك ما يرويه البخاري رحمه الله تعالى بإسناده عن عروة قال: "حج علينا عبدالله بن عمرو، فسمعته يقول: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون، فيفتون برأيهم، فيضلون ويضلون)، فحدثت به عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن عبدالله بن عمرو حج بعد، فقالت: يا ابن أختي، انطلق إلى عبدالله، فاستثبت لي منه الذي حدثني عنه، فجئته، فسألته، فحدثني به كنحو ما حدثني، فأتيت عائشة رضي الله عنها، فأخبرتها، فعجبت، فقالت: والله، لقد حفظ عبدالله بن عمرو"[37].

وسار من جاء بعده بهذا المنهج السليم، فقد كانوا يتثبتون من حفظ الراوي وقوته، فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغل عنها أي صلاة العشاء ليلة، فأخرجها

حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا ثم رقدنا، ثم خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: (ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم، وكان ابن عمر لا يبالي أقدمها أم أخرها إذ كان لا يخشى أن يغلبه النوم عن وقتها، وكان يرقد قبلها)، قال ابن جريج: قلت لعطاء وقد سمعت ابن عباس يقول أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى رقد الناس، واستيقظوا، ورقدوا واستيقظوا، فقام عمر بن الخطاب، فقال: الصلاة، فقال عطاء: قال ابن عباس: فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء واضعا يده على رأسه، فقال: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوا هكذا)، فاستثبتُ عطاء كيف وضع النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يده، كما أنبأه ابن عباس رضي الله عنهما، فبدد لي عطاء بين أصابعه شيئا من تبديد ثم وضع أطراف أصابعه على قرن الرأس ثم ضمها يمرها كذلك على الرأس حتى مست إبهامه من طرف الأذن مما يلي الوجه على الصدغ وناحية اللحية لا يقصر ولا يبطش إلى كذلك، وقال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يصلوا هكذا"[38].

خامسا: استفسار الراوي والسؤال عنه عن روايته أو سؤال الغير عن هذه الرواية:

وكانت من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يستفسرون الراوي عن سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال لكعب بن الأحبار: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل نبي دعوة يدعوها، وأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)، فقال كعب لأبي هريرة: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: نعم[39].

وعن ابن عمارة بن رؤيبة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يلج النار من صلى قل طلوع الشمس وقبل غروبها)، وعنده رجل من أهل البصرة، فقال: أنت سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، أشهد به عليه، وأنا أشهد لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول بالمكان الذي سمعته منه"[40].

ومن ذلك ما جاء عن ابن عمار، قال: سألت جابر بن عبدالله عن الضبع؟ فأمرني بأكلها، قلت: أصيد هي؟ قال: نعم، قلت: أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم.[41]

ومن أمثلة ما استفسر الصحابة عن الراوي ما أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من نبي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده، فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء

ذلك من الإيمان حبة خردل)، قال أبو رافع: فحدثت عبدالله بن عمر، فأنكره علي، فقدم ابن مسعود، فنزل بقناة، فاستتبعني إليه عبدالله بن عمر يعوده، فانطلقت معه، فلما جلسنا سألت ابن مسعو عن هذا الحديث؟ فحدثني كما حدثته ابن عمر[42].

سادسا: استحلاف الراوي على الرواية:

ومن مظاهر التثبت عند الصحابة رضي الله عنهم أنهم يستحلفون على الرواية، ويدل على ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أسماء بن الحكم الفزاري، قال: سمعت عليا يقول: إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا، ثم يقوم، فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له، ثم قرأ هذه الآية: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[43].

وقد حلف ابن مسعود رضي الله عنه لمن يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة في كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[44].

وعن زر بن حبيش قال: سمعت أبي بن كعب يقول وقيل له: إن عبدالله بن مسعود يقول من قام السنة أقام ليلة القدر، فقال أبي: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان، يحلف ما يستثني، والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع فيها[45].

وهذا من أقوى مظاهر التثبت فإنهم لنفي الشك والتردد في قبول الرواية يحلف قبل التحديث والرواية.

سابعا: التأكد من عدالة وضبط الشيخ أو الراوي:

ومن مظاهر التثبت عندهم أنهم كانوا يفحصون من عدالة الشيخ، يقل الإمام الحاكم النيسابوري: "وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه، ... وأما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فكان إذا فاته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثم سمعه من غيره، يحلف المحدث الذي يحدث به، والحديث في ذلك عنه مستفيض مشهور"[46]، فمن ذلك:

عن أبي سكينة مُجاشع بن عطية، قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في مسجد الكوفة يقول: "يا أيها الناس انظروا ممن تأخذوا هذا العلم، فإنما هو الدين"[47].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه"[48].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لن يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أكابرهم وذوي أسنانهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم وأسافلهم هلكوا"[49].

ومن ذلك قول أنس رضي الله عنه: "ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا، ونحن قوم لا يكذ بعضُنا بعضا"[50].

وقريبا من ذلك قول البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "كل ما نحدثكم عن رسول الله سمعناه منه، منه ما سمعناه ومنه ما حدثنا أصحابنا، ونحن لا نكذب"[51].

ثامنا: عدم الالتفات إلى الغريب والمنكر من الروايات:

ومن ذلك أخذهم المعروف من الروايات، وتجنبهم الغرائب والمناكير، يدل على ذلك ما يرويه مجاهد بن جبر المكي، قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فجعل يحدّث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تسمع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"[52].

تاسعا: الاهتمام والحرص الشديد على الرواية باللفظ مع تجويزهم برواية المعنى:

وكان من اهتمامهم على الرواية والأحاديث أنهم كانوا يحرصون على الرواية باللفظ الوادر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كان أصلا، ومع ذلك أنهم يقبلون الرواية بالمعنى كذلك، وكان ذلك امتثالا لما جاء في بعض الأحاديث من أداء الأحاديث كما جاء، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرءا سمع مقالتي، فبلغه كما سمع، فرُبّ مبلِّغ أوعى من سامع)[53]، ونحو ذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "من سمع حديثا، فأداه كما سمع، فقد سلم"[54].

وتدل الروايات التالية على مدى اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بألفاظ الحديث:

عن محمد بن علي قال: "لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد إذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزيد فيه ولا ينقص، ولا ولا، مثل عبدالله بن عمر"[55].

وعن حبيب بن عبيد: "أن أبا أمامة الباهلي رضي الله كان يحدث بالحديث، كالرجل الذي يؤدي ما سمع"[56].

ومن ذلك وما جاء أن ابن عمر رضي الله عنهما إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه، ولم يجاوزه ولم يقصر عنه[57].

ومن مظاهر اهتمامهم بألفاظ الأحاديث ما يلي:

الالتزام بإيراد الكلمات الغريبة في الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إني لآخذ بخطام الناقة حتى استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، قال: (اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا بصحبة، وأقبلنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض، وسيِّرْنا فيها، اللهم إني أعوذ بك من عوثاء السفر، وكآبة المنقلب)، قال أبو زرعة: وكان أبو هريرة رجلا عربيا، لو شاء أن يقول: وعثاء السفر، لقال"[58].

ومن ذلك التصريح بالشك في الرواية أو ألفاظ الحديث، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: "كان علي رضي الله عنه تخلّف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطينّ الراية)، أو قال: (ليأخذنّ غدا رجل يحبه الله ورسوله)، أو قال: (يحب الله ورسوله يفتح الله عليه)، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه"[59].

وحتى عدم استعمال المرادف، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عندما سمع عبيد بن عمير، وهو يقص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق مثل الشاة الرابضة بين الغنمين)، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: "ويلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين)"[60].

والاهتمام حتى بترتيب الجمل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (بني الإسلام على خمس، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان)، فقال رجل لعبدالله: ويكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، قال: لا، اجعل صيام رمضان آخرهن، كما سمعت من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم[61].

وإضافة كلمات أو جمل التي تدل على شدة تحريهم ووعيهم للرواية والتأكيد عليها، فعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: "ائذن لي أيها الأمير،

أحدثك قولا قام به النبي صلى الله عليه وسلم، الغد من يوم الفتح، سمعتْه أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرتْه عيناي حين تكلم به: (حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن مكة حرّمها الله، ولم يحرّمها الناس)..."[62].

وهذا كان مدى شدة العلماء في باب الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مقابل هذه الشدة نجد بعضهم يجيزون رواية الحديث بالمعنى، فعن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: "يا بُنيّ، إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقلتُ لها: أسْمَعُه منكِ على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى خلافا؟ قلت: لا، قالت: لا بأس بذلك"[63].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "كنا نجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم عسى أن نكون عشرة نفر نسمع الحديث، فما منا اثنان يؤديانه على حرف، غير أن المعنى واحد"[64].

وعن مكحول قال: "دخلنا على واثلة بن الأسقع، فقلنا: يا أبا الأسقع، حدِّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس فيه وهم ولا نسيان، فقال: هل قرأ أحد منكم الليلة من القرآن شيئا؟ قالوا: نعم، قال: فهل زدتم ألفا أو واوًا أو شيئا؟ فقلت: إنا لنزيد وننقص، وما نحن بأولئك في الحفظ، فقال: فهذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار، فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّة أو مرّتين، إذا حدّثْتُكم على معناه فحسبكم"[65].

عاشرا: مراعاة الفروق الفردية عند الرواية:

وهذه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد كان يُسأل ويُستفسر من قِبل الكثيرين وتكون الإجابات مختلفة مراعاة للفروق الفردية للمخاطبين، وكان الصحابة رضي الله عنهم يراعون هذا الجانب التربوي، فمن ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله"[66]، ونحو هذا القول روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "حدِّثوا الناس ما يعرفون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله"[67]، وقريبا من ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدّث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[68].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد، فمن خلال هذا البحث توصلّتُ إلى النتائج التالية:

فقد تقرر عند جميع أهل العلماء أن تثبت الصحابة في تحمّل الرواية والأداء كان وفقا لأقوى وأعلى المنهج العلمي المعاصر. وشدة التثبت في التحمل والأداء كان شيئا معروفا لدى الصحابة رضي الله عنهم، لذا لم يعثر عن أحدهم من أنكره. ومن شدة التثبت عندهم أنهم كانوا يحلفون قبل التحديث

والرواية أحيانا. ومن شدة احتياطهم أنهم كانوا يحترزون من مترادفات في الحديث، بل وقد كانوا يهتموا بترتيب الجمل في الحديث. وأخيراً أن جميع أصول وأسس التثبت للرواية في الوقت الحاضر فقد طبقها الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في ذلك العصر المفضل بل أُسست على تطبيقاتهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

حوالہ جات

[1] البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ "إنه يمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كذب..."، برقم: 108، وأحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ 1999م، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ له، 123/5.

[2] التوبة 64.

[3] النساء 59.

[4] البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، واللفظ له، برقم: (4608)، ومسلم، كتاب صلاة المسافر، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، برقم: (1354)، وأحمد، بإسناد صحيح وليس فيه مساورة عمر لهشام في الصلاة، برقم: (296) 43/1.

[5] الذهبي، تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ 1998م، 9/1، والحديث رواه الإمام مالك في الموطأ 513/2، وأبو داود، كتاب الفرئض، باب في الجدة، برقم: 2507، والترمذي، أبواب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في ميراث الجدة، وقال: وفي الباب عن بريدة، وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة، برقم: (2027)، وابن ماجه، كتاب الفرائض، باب ميراث الجدة، برقم: (2714).

[6] مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، برقم: 5235.

[7] السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، الحافظ أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بر جلال الدين السيوطي، تقديم: الدكتور أحمد معبد عبدالكريم، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1424 هـ 2003م، 580/3.

[8] البقرة 159.

[9] البقرة 160.

[10] ابن حجر، فتح الباري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، ترقيم الأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، 213/1، والنووي، المنهاج، شرح صحيح مسلم، 52/16.

[11] الذهبي، تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1419هـ- 1998م، 12/1.

[12] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، برقم: 28.

[13] البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: 107.

[14] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، برقم: 25.

[15] النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، 15/1.

[16] العوني، نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف، دار عالم الفوئد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1418هـ، 35.

[17] الدارمي، 488/1، والخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 236/1.

[18] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، 484/1.

[19] الدارمي، 480/1.

[20] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1392هـ، 47/1.

[21] الذهبي، تذكرة الحفاظ، 2/1.

[22] النسائي، السنن الكبرى، الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: دكتور عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ 1991 م، 73/4.

[23] البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم من ضربة، برقم: 340، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، برقم: 844.

[24] الإمام أحمد، المسند، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1420هـ 1999م، 270/32، ومصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1403م، برقم: 19423.

[25] أبو داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، برقم: (4510)، ومالك، برقم: (1520).

[26] ابن حبان، المجروحين، 37/1.

[27] البخاري، كتاب الديات، باب جنين المرأة، برقم: 6397، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد، برقم: 3188، وابن ماجه، كتاب الديات، باب دية الجنين، برقم: (2630).

[28] مسند الإمام أحمد، 24/25.

[29] مسند الإمام أحمد، 67/1.

[30] مسند الإمام أحمد، 223/1.

[31] النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار، برقم: 175.

[32] البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة آل عمران، رقم: 4275، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من أقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم: 372، والآية من سورة آل عمران، 77.

[33] البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله "وقل رب زدني علما"، برقم: 6، ومسلم، كتاب الإيمان، باب برقم: 111، والترمذي، أبواب الزكاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك، برقم: 619.

[34] أبو داود، كتاب الترجل، باب النهي عن كثير من الإرفاء، برقم: 4612.

[35] الإمام أحمد، 159/4، والحميدي، برقم: 384، وعبدالرزاق، المصنف، 228/10.

[36] الحاكم، المستدرك على الصحيحين، 475/2.

[37] البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، برقم: 7307.

[38] البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب النوم قبل العشاء، برقم: 545.

[39] مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوته الشفاعة لأمته، برقم: 511.

[40] مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، برقم: 149، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، برقم: 427.

[41] النسائي: كتاب مناسك الحج، باب ما لا يقتله المحرم، برقم: 2836، والترمذي، أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الضبع يصيبها المحرم، بلفظ، قال: قلت لجابر: الضبع أصيد هي؟ قال: نعم، قال: قلت: آكلها؟ قال: نعم، قال: قلت: أقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم؟، برقم: 851.

[42] مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم: 188.

[43] أبو داود، كتاب الوتر، باب الاستغفار، برقم: 1523، والترمذي، أبواب التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة آل عمران، برقم: 3006.

[44] البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: 4716، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الصحابة، برقم: 6487.

[45] مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم: 1821.

[46] الحاكم، معرفة علوم الحديث، 14.

[47] ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، وعبدالفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ 1997م، 253/1.

[48] المرجع السابق.

[49] المرجع السابق.

[50] الخطيب البغدادي، الكفاية، 386.

[51] ابن عدي، الكامل، 263/1.

[52] مسلم، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.

[53] الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، برقم: 2657.

[54] ابن عبدالبر، جامع العلوم وفضله، 208/2، والخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[55] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[56] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[57] المرجع السابق.

[58] المرجع السابق، 176.

[59] البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، برقم: 3702، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل على بن أبي طالب، برقم: 2407.

[60] مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب بدون عنوان، برقم: 4990، والخطيب البغدادي، الكفاية، 176.

[61] الخطيب البغدادي، الكفاية، 176.

[62] البخاري، كتاب العلم، باب لِيُبلِّغ العلمَ الشاهدُ الغائب، برقم: 104، ومسلم، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولُقطها إلا لمنشد على الدوام، برقم: 1354.

[63] الخطيب البغدادي، الكفاية، 172.

[64] المرجع السابق، 204.

[65] المرجع السابق، 203.

[66] البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، برقم: 127.

[67] ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، 540/1.

[68] مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، 21/1.